٢ - الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

الجزور :

١ — إذا كان للميسر موضوع كما يقولون ، فهو «الجزور» . والجزور يقع على الذكر والأنثى من الإبل ، ولكنهم أكثر ما ينحرون النوق [١]

٢ — وليست كل ناقة ولا كل بعير بصالح للميسر ، وإنما كانوا يتخيرون أسمنها وأنفسها وأعزها عليهم . فكأنما ألهموا من وراء الغيب « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » . وفي ذلك قول لبيد :

وجزور أيسار دعوت لحتفها بمغالق متشابه أجسامها
أدعو بهن لعاقر أو مطفل بذلت لجيران الجميع لحامها

يقول : رب جزور تصلح لتقامر الأيسار عليها دعوت ندمائي لنحرها بتلك المغالق المتشابهة ، وهي سهام الميسر يشبه بعضها بعضا . وأراد بها هنا سهام القرعة يقرع بها بين إبله أيها ينحر لندمائه . فهو يدعو بتلك السهام لنحر ناقة عاقر أو أخرى مطفل . وإنما ذكر « العاقر » لأنها أسمن وأحمل للشحم ، و « المطفل » لنفاستها عليهم وعزتها [٢]

٣ — وكان إذا أرادوا أن ييسروا ابتاعوا ناقة بثمن مسمى يضمنونه لصاحبها ، ولم يدفعوا ذلك الثمن حتى يضربوا بالقداح عليها فيعلموا على من يجب الثمن [٣]

وسيأتي فيما بعد أن الثمن يدفعه من خابت سهامهم متضامنين في ذلك بحسب أنصبتهم لو فازوا

٤ — وكانوا قبل أن يضربوا بالقداح يجعلون بينهم عدلا يأخذ من كل امرئ منهم رهنا بما يلزمه من نصيب قدحه إن خاب ، مقدرا كل الاحتمالات التي يتعرض لها النارمون ،

(١) اللسان (جزر ٢٠٤)
(٢) بلوغ الأرب (٣ : ٥٤ — ٥٥)
(٣) الميسر والقداح ١٠٢

ويسمون هذا العمل « التأريب » ، وهو التشديد في الخطر [٤]

وأحيانا يتغالى الياسرون فيجعلون مكان أعشار الناقة أعدادا من الإبل ، كأن يجعلوا موضوع الميسر عشراً من النوق لا ناقة واحدة يقسمونها عشرة أجزاء . وكذلك إذا أرادوا أن يضربوا على أكثر من هذا العدد جعلوا مكان العشر من أعشار الجزور بعيرين ، ومكان عشرين أربعة ، ومكان ثلاثة الأعشار ستة ، فإن زادوا على ذلك فعلى هذا السبيل [٥]

٦ — وهناك ميسر آخر غريب ، ذكره طائفة من العلماء ، وهو أن يكون موضوع الميسر إنسانا . وقد أنشدوا في ذلك قول سحيم بن وثيل الرياحي :

أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ألم تعلموا أني ابن فارس زهدم

أي ألم تعلموا أني ابن صاحب الفرس المسمى « زهدم »

قال صاحب اللسان [٦] : « كان قد وقع عليه سباء فضرب عليه بالسهام . وقوله : ييسرونني ، هو من الميسر ، أي يجزئونني ويقتسمونني »

وهذا تفسير ساذج ، ومن الصعب أن يتصوره عاقل إلا أن يريدوا اقتسام رقه وعبوديته فيما بينهم ، كما يكون العبد ملكا لعدة أشخاص يملك كل منهم شقصا منه . ونجد ابن سيده [٧] يفسر البيت تفسيرا أشنع من تفسير صاحب اللسان إذ يقول : « وييسرونني من الميسر ، أي يجتزرونني ويقتسمونني » وهو لا ريب تفسير خاطئ

وقد فسره ابن قتيبة [٨] تفسيرا عاقلا بقوله : « فمن روى : ييسرونني ، أراد : يقتسمونني ويجعلونني أجزاء ، أحسبه أراد فداءه ، لأنهم إذا أخذوا فداءه فقسموه فكأنهم اقتسموا نفسه . ومن رواه يأسرونني جعله من الأسر »

الجزار

ويسمونه « القدار » ، على وزن همام . ولذلك القدار خبرة

(٤) الميسر والقداح ١٤٦ — ١٤٧
(٥) الميسر والقداح ١٢٣ ، ١٢٧
(٦) اللسان (يسر)
(٧) المخصص (١٣ : ٢٠)
(٨) في الميسر والقداح ٣٤

خاصة بتقسيم الجزور ، فهو يقسمها عشرة أقسام :

فإحدى الوركين جزء ، والورك الأخرى جزء [٩] ، والعجز جزء ، والكاهل جزء ، والزور — وهو ما ارتفع من الصدر إلى الكتفين جزء ، والملحاء — وهو وسط الظهر بين الكاهل والعجز — جزء ، والكتفان جزء ، والذراعان جزء ، وإحدى الفخذين جزء ، والأخرى جزء

ويبقى بعد ذلك « الطفاطف » ، وهى أطراف الجنب المتصلة بالأضلاع ، و « فقر الرقبة » ، فتقسم وتفرق على تلك الأجزاء بالسواء ، فإن بقى عظم أو نصفه بعد القسم فذلك الريم ، وكانوا يجعلون ذلك الريم للجازر ، فإن بخلوا به ولم يجعلوه له كان ذلك مسبة لمن لم يجعله

وأما نصيب بائع الناقة فهو الأطراف والرأس غالبا

وذهب الأصمعى فى ذلك مذهبا غريبا ، أنهم كانوا يجزئون الجزور على ثمانية وعشرين جزءا ، ذهب فى ذلك إلى حظوظ القداح ، وهى ثمانية وعشرون ، للفذ حظ ، وللتوأم حظان ، وللرقيب ثلاثة ، وللحلس أربعة ، وللنافس خمسة ، وللمسبل ستة ، وللمعلى سبعة ، فجميع هذه ثمانية وعشرون

قال ابن قتيبة [١٠] : « ولو كان الأمر على ما قال الأصمعى لم يكن هنا قامر ولا مقمور ، ولا فوز ولا خيبة ، لأنه إذا خرج لكل امرئ قدح من هذه فأخذ حظ القدح أخذوا جميعا تلك الأجزاء على ما اختار كل واحد منهم لنفسه ، فما معنى إجالة القداح ؟ وأين الفوز والغرم ؟ ومن القامر والمقمور ؟ »

عدد الأيسار

والأيسار : المتقامرون ، واحدهم « يسر » بالتحريك

وكان الحد الأقصى للأيسار أن يكون سبعة ، على عدد قداح الميسر ، لا يتجاوز عددهم ذلك ، وليس لهم حد أدنى يقفون عنده . فإذا كان عددهم سبعة قالوا : قد توحدت القداح ، أى أخذ كل رجل قدحا ، وإنما يكون ذلك فى المجاعات الشديدة وغلاء اللحم ، فيحتاج الأمر فى التكافل إلى هذا العدد الكبير

وإذا نقص عدد الأيسار عن السبعة فلا بد أن ينبرى واحد منهم أو أكثر ويأخذ أكثر من قدح واحد ويتأهب للمغامرة ، ويسمون ذلك الآخذ « متمم الأيسار » . وهم يعدون ذلك التتميم مفخرة وفضيلة . قال النابغة :

أنى أتمم أيسارى وأمنحهم ... مثنى الأيادى وأكسو الجفنة الأدما [١١]

قداح الميسر

١ — يقال للواحد من قداح الميسر قدح ، بالكسر ، وسهم وزلم ، وقلم . وأكثرها استعمالا فى ذلك هو « القدح »

٢ — والقداح : عيدان تتخذ من النبع ، وهو شجر تصنع منه القسى والسهام ، ينبت فى قلة الجبل ، معروف بالمتانة واللين

٣ — تنحت هذه العيدان وتملس وتجعل سواء فى الطول ، وإنما تختلف فى العلامات والوسوم

٤ — وهى صغيرة القدر ، قال ابن قتيبة : « وتسميتهم لها بالحظاء دليل على أنها كصغار النبل »

٥ — ولهذه القداح رأس صغير ، قال ابن قتيبة : « ووجدت الشعر يدل على أن له رأسا أحسبه ناقصا عن مقدار جسمه ، حديد الطرف » ، واستشهد لذلك بقول الراعى :

بدا عائذا صملا ينوء بصدره ... إلى الفوز من كف المفيض الموب

والصمل : الصغير الرأس ، ولذلك قيل للظليم ، وهو الذكر من النعام : « وصمل » ، لدقة رأسه

٦ — ولونه أصفر ، لأنه من نبع وماشا كله ، ولأنه أيضا قد يتقدم فيصفر كما تصفر القوس العتيقة

٧ — ويصفونه بالاعوجاج والأود ، دلالة على كرم عوده ولينه

٨ — وكثيرا ما يكون ذا سفاسق ، أى طرائق وخطوطا مستقيمة أو منحنية تكون فى لون العود ، كما تكون فى الخلنج داعواد السروج وأشباه ذلك

٩ — وهو مدور أملس كالسهم

١٠ — ويصفونه بالحنين والرنين إذا ضرب به ، وذلك لرزانته وسلامة عوده من القوادح والسوس ، فإذا ضرب به حن

(٩) الوركان هما فوق الفخذين كالكتفين فوق العضدين

(١٠) الميسر والقداح ١٢٠ . وانظر أيضا تفسير أبى حيان (٢ : ١٥٥)

(١١) هذا صواب انشاد البيت بفتح همزة « أنى » ، ومن رواه بكسرها فقد أخطأ الصواب . وذلك لأن قبله كما فى ديوان النابغة ٢ : :

ينبئك ذو عرضهم عنى وعالمهم ... وليس جاهل شئ مثل من علما

ورن كما يطن الصفر والحديد

هـذا ما أمكن الإمام ابن قتيبة أن يستخرجه من الشعر العربى لينقل إلينا ذلك الوصف الدقيق لقداح الميسر

عدد القداح وأسماؤها

هذه القداح التى مضى وصفها فى الفصل السابق ليست كلها على نمط واحد ، بل هى نوعان :

النوع الأول : القداح ذوات الحظ ، وعددها سبعة ، وهذا العدد يقابل الحد الأقصى لعدد المتقامرين

النوع الثانى : القداح التى لا حظ لها ، وعددها ثلاثة

قداح الحظ

١ — الفذ ، وله حظ واحد
٢ — التوأم ، وله حظان اثنان
٣ — الرقيب ، وله ثلاثة حظوظ
٤ — الحلس ، وله أربعة حظوظ
٥ — النافس ، وله خمسة حظوظ
٦ — المسبل ، ويسمى أيضاً المصفح ، وله ستة حظوظ
٧ — المعلى ، وله سبعة حظوظ

وهذه السهام السبعة متشابهة الأجسام ، لا يمتاز بعضها عن بعض إلا بعدد الفروض ، أى الحزوز التى تحز فيها لتبين قدرها . فللفذ حز واحد ، وللتوأم حزان اثنان ، وللرقيب ثلاثة .. وهكذا

وربما كانت هذه العلامات بالنار ، يسمونها بالوسم والوسمين والوسوم ، بدلا من تلك الحزوز (١٢)

وقد نظم أبو الحسن على بن محمد الهمدانى أسماء سهام الحظ فى قوله (١٣) :

يلى الفذ منهـا توأم ثم بعده رقيب وحلس بعده ثم نافس
ومسبلها ثم المعلى فهـذه الـ سهام التى دارت عليها المجالس

وأنشد الراغب الأصفهانى (١٤) أبياتا نسبها لعروة بن الورد ، يذكر فيها أسمـاء القداح الفائزة ، وأراها من مصنوع الشعر

(١٢) الميسر والقداح ٧٥
(١٣) بلوغ الأرب (٣ : ٥٨)
(١٤) محاضرات الراغب (١ : ٢٤٤)

ومولده ، وهى :

أنت بالمعلى عند أول سـورة وبالمسبل التالى وبالحلس والتوم (١٥)
وجاءت بفذ والضريب يليهمـا وبالنافس المعلوب فى الرأس والقدم (١٦)
فراح بها غنم وتغرم ما جنت وقد يغرم المرء الـكريم إذا اجترم
وأنت منيح باليدين متى تعد تعد صاغراً لا مال نال ولا غرم

وهذه الأبيات المهلهلة لم ترد فى ديوان عروة ، وليست من شعره بسبب ، وهى أشبه ما يكون بشعر ابن مالك فى ألفية النحو ، أو بشعر أبى الحسن على بن محمد الهمدانى الذى سبق الإنشاد له ، كما أن ما فيها من الخطأ الفنى ينطق ببطلان نسبتها إليه ، فإن هذه القداح لا يمكن أن تخرج جميعا فى ميسر واحد ، كما سيأتى القول عن الـكلام على (مجلس الميسر)

وكان العرب فى بعض الأحايين يستعيرون قدحا ميمونا ، أى قدح كان من السبعة ذوات الحظوظ ، قد جرب من قبل فوجد سريع الخروج فى الميسر ، يستعيرونه من غيرهم ويجعلونه فى قداحهم بدلا من آخر مثله ، تيمنا به وبما يجلبه من الظفر ، ويسمون ذلك القدح « المنيح (١٧) » ، وهو غير المنيح الذى سيأتى ذكره فى القداح التى لا حظ لها

وكانوا يأخذون من هذه القداح على قدر احتمالهم ، فأقلهم حالا هو آخذ « الفذ » ، لأنه إن ربح غنم حظا واحدا وإن خاب غرم حظا ، ويليه فى القدرة آخذ « التوأم » ، إن فاز فاز بحظين ، وإن خاب غرم حظين ، وأقدرهم وأعـلاهم شرفا هو صاحب « المعلى » لأنه إن خاب غرم سبعة حظوظ فاحتملها

القداح التى لا حظ لها

وهناك قداح لا حظ لها ، وهى بحجم قداح الحظ ، ولـكنها مجردة من السمات والعلامات ، تجعل مع قداح الحظ ليـكثر بها العدد ، ولتؤمن بها حيلة الضارب فتختلط عليه فلا يجد إلى الميل

(١٥) أراد « التوأم » . وهو القدح الثانى من قداح الميسر
(١٦) المعلوب : الذى به العلب . وهو الحز وأثر الضرب . والجمع علوب
(١٧) الميسر والقداح